٢١شباط
اليوم العالمي للغة الأم

أعلنتْ منظمة الثقافة والعلوم والتربية(اليونيسكو) التابعة للأمم المتحدة في شباط عام ٢٠٠٠م بياناً إلى الرأي العام، أقرتْ فيه رسمياً اعتبار الحادي والعشرين من شهر شباط كل عام يوماً للغة الأم، وذلك تقديراً للغات شعوب الأرض قاطبة ولحماية اللغات الصغيرة من الانقراض. فبحسب تقديرات وإحصائيات هذه المنظمة الدولية، تعيش اليوم على كرتنا الأرضية ما يزيد عن الـ ٦٠٠٠ لغة ينطق بها البشر في أرجاء الأرض المختلفة، إلا أن المؤسف في الأمر هو أن نصف هذه اللغات تتجه اليوم نحو الضياع والصهر في لغات الشعوب والأقوام الكبيرة، تلك التي يحاول البعض من حكامها فرض الحظر والقيود عليها ومنعها من الاستمرار في الحياة وتطورها الطبيعي.

يعتقد الباحثون والعلماء من ذوي الاختصاص بأن لغات الشعوب مهما كانت صغيرة بعدد سكانها اليوم، فإنها تختزلُ في ثناياها ثقافة وعلوم وعادات وتجارب الناطقين بها مع الطبيعة والحياة خلال فترة تمتد عشرات القرون، وأنها تعتبر من الكنوز الثمينة للثقافة الإنسانية جمعاء، فيجب الحفاظ عليها ورعايتها وحمايتها من الفناء، وتقديم كل أشكال الدعم لها كي تتابع حياتها ونموها.

تجدر الإشارة هنا إلى أن المنظمة الدولية قد اختارت هذا اليوم بالتحديد، تخليداً لأرواح خمسة طلاب بنغال وقعوا ضحايا الدفاع عن لغتهم الأم برصاص قوات الأمن الباكستانية في ٢١ شباط عام ١٩٥٢م أثناء مشاركتهم بتظاهرة سلمية، كانوا قد دعوا فيها إلى رفع القيود والتمييز والحصار عن لغتهم، حيث كانت اللغة الآردية حينها هي اللغة الرسمية في الدولة قبل انفصال بنغلادش عن الباكستان عام ١٩٧١م.

بقدوم هذه المناسبة العزيزة على قلوبنا وقلوب شعوب الأرض قاطبة، يجب علينا التوقف قليلاً عند وضع اللغة والثقافة الكردية في بلادنا سوريا وما تتعرض لها من سياسات القمع والمنع والحظر والصهر... فمن المعروف للقاصي والداني بأنه هناك في سوريا حقيقة ناصعة هي وجود شعب أسمه الشعب الكردي يتجاوز تعداده الثلاثة ملايين نسمة يعيش على أرض آبائه وأجداده، تم تقسيمه للمرة الثانية بمعزل عن إرادته كباقي شعوب المنطقة التي كانت تابعة للسلطنة العثمانية بين أربع دول رئيسية هي تركيا، العراق، إيران وسوريا، شعب له لغته القومية وثقافته الخاصة به، كما أن له عاداته وتقاليده.

يمتلك الشعب الكردي أدباً رفيع المستوى وتراثاً غنياً وفولكلوراً ثرياً حسب وصف العلماء، إذ ظهر من بين أبنائه أدباء كبار على مر العصور والقرون، مثل الشاعر نالي، ماني، فقي طيران، الملا الجزري، أحمد خاني...وغيرهم الكثير، ممن سطروا روائع خالدة بهذه اللغة التي تتم اليوم محاولات طمسها وشلها وصهرها. فهذه اللغة الجميلة التي جدلَ بها الجزري ديوانه الرائع وأحمد خاني ملحمته الشهيرة عالمياً(مم وزين) تستحق أن تقوم السلطات والجهات الثقافية المعنية في سوريا أن تبذل قصارى جهدها لتقديم كافة سبل الدعم وأشكال الرعاية لها كي تجد طريق تطورها وتغني الثقافة السورية أولاً والثقافة العالمية ثانياً، إلا أنها، ولشديد الأسف، قامتْ ولا تزال تقوم بقطع سبل الحياة عنها وصهرها عنوة، منطلقة في ذلك من سياسة آنية قصيرة النظر، تعتقد أن إزالة اللغة الكردية يعتبر انتصاراً للغة العربية..!! ناسية إنما هي بعملها وسياستها هذه إنما تؤذي ثقافة شعب أصيل له دوره الفاعل في بناء كيان الدولة السورية والدفاع عن حياضها قبل صعود الفكر العروبي العنصري الذي قام بإقصائه عن مجمل مناحي الحياة وتهميش دوره في الحياة العامة وممارسة سياسة القهر والتجويع والإفقار بحقه.

إن حب اللغة الأم وتطويرها لا يعني العداء لأحد، بقدر ما يعني حب اللغات الأخرى واحترامها أيضاً لتبادل الأفكار والآداب والثقافة، والعمل على التواصل بين الشعوب على أرضية التعايش المشترك ونشر قيم المحبة والتسامح وثقافة العصر التي لا تنفي أحداً كيفما كانت آراؤه للحياة والمجتمع، وتعزيز دور ومكانة الإنسان واعتباره الثمرة الأغلى والأثمن على وجه هذه الخليقة. ومن هذا المنطلق، فإننا نهيب بأبنائنا وبناتنا من النشء الجديد زيادة الاهتمام بلغة أمهاتهم، ونأمل من المتعلمين أن يقوموا بتعليمها قراءة وكتابة، ومن الذين لم تسمح لهم ظروفهم الخاصة بأن يتعلموا قراءتها وكتابتها تخصيص وقت لتعلمها، لأنها لغة لا تقل روعة وجمالاً عن أية لغة أخرى في العالم، كما أنها تعتبر هويتنا القومية التي يجب أن نعتز بالانتماء إليها.

ختاماً، باقة ورد عطرة إلى اللغة الكردية الجميلة وروادها الأوائل وجنودها المجهولين الذين يواصلون الليل بالنهار لتعليمها وتكريس حبها لدى جيل الشباب، وباقة أخرى إلى كل لغات الشعوب في يومها العالمي، ومن خلالها إلى كل الأدباء والشعراء واللغويين والروائيين... الذين يعملون على كتابة الروائع الفريدة والقصائد والروايات الجميلة خدمة للإنسان، ويخدمون الثقافة الإنسانية، كل عام ولغات الأرض بخير وعافية!.